

أ

الأُسبوعية
Atar

العدد (9)، الخميس، 7 ديسمبر 2023م

مستنقرات نهر النيل: ما هي الدوافع؟

التأية بدر الدين (الجزيرة)



حينما

علمت «م أ» بتخريج دفعة من المستنفرات في معسكر بمنطقة مروبي، راودها حلم قديم بتلقي التدريب العسكري، فقد أُلغيت معسكرات «عزة السودان» لحظة دخولها الجامعة. الآن «م أ» هي القائم بأمر استنفار النساء في منطقة تتبع محلية المتمة، تطرق أبواب «الحلّة» واحداً بعد الآخر للتبشير بفكرة استنفار النساء في منطقتها. لم تستسلم حين وُوجهت برفض فوري لفكرتها من لجنة الخدمات في المنطقة، فتواصلت مع المدير التنفيذي لـ«هيئة إسناد الدفاع الشعبي» بمحلية المتمة، الذي وافق، ومنحها خطابين أحدهما للفرقة الثالثة مشاة، وآخر لحمايتها في حال تعرّض شخص لها ومشروعها.

عزة السودان، هي فترة تدريب عسكري للطلاب الذين أكملوا مرحلة الدراسة الثانوية تسبق أداءهم الخدمة الوطنية، بدأ العمل بها أول مرة في العام 1997م وأُلغيت في أغسطس 2015، وكان الطالب لا يحصل على شهادته الدراسية ولا يلتحق بالجامعة إلا بعد التحاقه بمعسكر دورة «عزة السودان» وأداء الخدمة الوطنية.

أخبرت «م أ» «شبكة أتر»، أنها تحلم بوظيفة مدنية في مجال دراستها، الفيزياء: «رغم وعود الوالي بفرص توظيف في الشرطة، والأمن، والجيش، لكن لأنوي الانضمام إلى صفوف القوات النظامية، إلا في حال لم يتم استيعابي في الخدمة المدنية».

بدأت «م أ» بالدعوة للانضمام إلى معسكر الاستنفار في نطاق أسرتها واستطاعت إقناع بعض قريباتها وكنّ أول المستجيبات. كذلك انضمت إلى ندائها العديد من نساء المنطقة، بشرط تلقي التدريبات من قِبَل امرأة، فاستطاعت توفيرها للتدريبات الجسدية؛ لكنها أقنعتهن بشخص معروف من أبناء المنطقة، ذي صلة قرابة بها لتدريبهن على تفكيك السلاح وحمله.

تقول «د»، صاحبة الثمانية عشر عاماً، وهي ابنة أخت «م أ»، إنها ستتخرّج الأسبوع المقبل من معسكر تدريب النساء: «عرفتُ بأمر التدريب من خالتي، وساندني أبي في الانضمام للمعسكر المفتوح، حيث أذهب بعد نهاية اليوم المدرسي، من الساعة الثالثة وحتى الخامسة مساءً، لتلقي التدريب في خلوة تقع في المنطقة».

ليست كل التدريبات سهلة بالنسبة لـ «د»، فالسلاح ثقيل، لكنها تسعى للتمرين أكثر على حمله، خاصة وأن بعض المتدربات أصغر منها مثل شقيقتها «ق»، التي تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً. وهو ما أكدته مشرفة استنفار النساء في المنطقة «م أ»، التي أخبرت «أتر» أن متوسط الأعمار يتراوح بين 15-70 عاماً، مع وجود حوالي خمس فتيات في الحد الأدنى، وامرأة واحدة في الحد الأعلى.

«لستُ مجبرة على التدريب»، تقول «د»، «لكن أصابني الخوف من قصص سمعتها من بعض اللائي نزن إلى شمال المتمة عن انتهاكات جسدية حدثت في الخرطوم». ورغم عدم وفاة شخص قريب جراء معارك الخرطوم، أو تعرّض إحدى قريباتها لانتهاكات جسدية، «لكن لا يزال ما أسمعه من قصص عن اغتصاب الفتيات في سني أمراً يثير الخوف».

«س»، ابنة عم «د»، وابنة أخ «م أ»، اختارت أن تتدرب في ذات المعسكر المفتوح لحماية نفسها من «المتفلتين» عند عودتها القريبة إلى الخرطوم: «سأكون جاهزة وقتها لاستخدام سلاح أبي الشخصي في منزلنا بالخرطوم».

علمت «أتر» من مصدر فضّل حجب اسمه أن عدد المتدربات في المتمة يتراوح بين «60-68»، جنّ من قرى معينة هي الصفر، والنوراب، والجوير. «بعض المستنفرات قدامن من منطقة الكردة بتحفيّز أحد سماسرة السياسة، وهو شخص اشتهر بتغيير لونه السياسي. تارة ضمن لجان مقاومة المنطقة خلال فترة الحكومة الانتقالية، ثم أعلن انضمامه لكتائب البراء بن مالك مؤخراً».

وقد بيّنت المقابلات التي أجرتها «أتر» مع بعض المستنفرات أن كثيراً منهنّ قد انضممن إلى معسكرات التدريب لدوافع مختلفة -وليس بالضرورة الشعور بالخطر القادم- مثل تزجية أوقات الفراغ أو لإيجاد فرصة للخروج من المنزل.

يساعد في عمليات التدريب عدد من الرجال، وهم في الغالب عسكريون سابقون. علمت «أتر» من مصدر ذي صلة بالمعسكرات في محلية شندي بولاية نهر النيل أن معسكرات النساء تركز على التدريبات العسكرية العامة، مثل البيادة، إضافة إلى الإسعافات الأولية من خلال كورسات يشرف عليها أفراد من القوات النظامية، لكن مسؤولية الاستنفار تقع على عاتق الجيش.

ويُلاحظ أيضاً أن مساحات التدريب المخصصة للنساء ضيقة نسبياً، وتتم في فناءات المدارس، كما إن مدة التدريب قصيرة، فـ «الأمر أشبه بالرياضة الخفيفة»، حسب زعمه. «تتراوح أعمار المستنفرات بين 22 و40 عاماً، معظمهن ناجيات من حرب الخرطوم نزحن شمالاً. وأعتقد أن الهدف هو حماية النفس ضد انتهاكات قوات الدعم السريع في حال امتدت الحرب شمالاً».

في السياق ذاته، تحدثت «شبكة أتر» مع معاشي من الجيش برتبة لواء، يعمل مشرفاً على معسكرات المستنفرات والمستنفرين في ولاية نهر النيل، قال مفضلاً حجب اسمه والمحلية التي يتبع لها إن «مشروع الخدمة الوطنية كان الأساس لإعداد المواطنين لحالات الحروب والكوارث والطوارئ. وإلغاء المشروع هو ما حتم استنفار المواطنين للمساعدة في حماية الوطن في ظروف الحرب الحالية، خاصة وأن الحرب التي بدأتها قوات الدعم السريع بمزاعم الديمقراطية، تحولت إلى شعارات عنصرية وجهوية، مع دخول مرتزقة أجنب مارسوا القتل، والنهب، والاعتصاب ضد المواطنين».

وأردف قائلاً: «تدريب المواطن على السلاح ليس استثناءً سودانياً، فقد خاضت دول عديدة، مثل روسيا، حروباً استنفرت فيها مواطنيها»، مشيراً إلى أن هذا الاستنفار سينعكس على سير المعركة. «يمكن لهؤلاء المستنفرين الانضمام إلى القوات النظامية إن رغبوا، كما سيكونون جيش احتياط للدولة، مثلما كان الحال أوان الخدمة الوطنية. وسيكون لهم دور كبير في بسط الأمن وهيبة الدولة بعد انتهاء الحرب. أما النساء، ولأنهن الأكثر تضرراً واستهدافاً في هذه الحرب، فأنا أؤيد فكرة تدريبهن بما يناسبهن، ويكفل لهن حق الدفاع الذاتي».

وعند سؤال اللواء معاش عن طبيعة التدريب والفئات المستهدفة، قال إن التدريب يكون مكثفاً على استخدام بعض الأسلحة الخفيفة، موضحاً أنهم يستهدفون الشباب

والقادريين على حمل السلاح، وهم في العادة أكبر من 18 سنة. «يشمل ذلك مجندي الخدمة الوطنية سابقاً، والمعاشيين من القوات النظامية».

وأوضح أن الانضمام إلى معسكرات التدريب يتم وفق ضوابط محكمة، تبدأ من حصر الراغبين في الاستنفار من قبل لجان الأحياء، ولاحقاً تُرفع الكشوفات إلى الوحدة الإدارية التي تتبع لها القرية، ثم المحلية: «جميع المعسكرات تحت إشراف القيادة العسكرية في المحلية، وهي التي تشرف على الأمور العسكرية، مثل التدريب والتسليح، بينما تُشرف الوحدة الإدارية على الأمور اللوجستية، مثل أزياء المُستنفرين، وغيرها من المصروفات الإدارية».

«لا أعتقد أن الغرض من استنفار النساء هو الزجّ بهن في أتون القتال. هذا أمر تؤكده تجارب الاستنفار السابقة. يتعلق الأمر، إلى حدّ بعيد، بسلوك سلطة أدمنت به غوايتها المعهودة في عسكرة المجتمع. ومن ضمن آلياتها استخدام السلطة الرمزية، وهي دائماً سلطة لا مرئية. يشير انتشار معسكرات استنفار النساء في مناطق معينة إلى وفرة خطابات أحد أطراف الصراع الدائر تجاه هذه المناطق، والسلوك المُعادي للنساء بممارسات الاغتصاب. في المقابل تنتشر خطابات مظلومية مُعبّر عنها بلغة الهويات وليس لغة الحقوق والسياسة والاقتصاد. سياسة الهوية هذه من لوازم الحرب، وهي ضرورية لاستمرارها وإعادة إنتاجها، ولها محاربوها الماديون والرمزيون؛ وفئة المحاربين الرمزيين تضم النساء المستنفرات في حالتنا هذه. ويمكن قراءة خطورة استنفار النساء في إطار عسكرة المجتمع، وهي أزمة مركبة «سياسية-اقتصادية-اجتماعية»، تُهدّد النسيج المجتمعي، وتعيق بناء النظام السياسي. وفي جانب آخر، يمثل الأمر تهديداً لمكتسبات النساء النضالية، إذ لا تحظى المؤسسة العسكرية السودانية بتأهيل حقوقي يخول لها استيعاب النساء ضمن ثقافتها الذكورية، وهو ما يتجلى في فقدان الثقة في الأجهزة الأمنية والنظامية في البلاد. أما الرغبة في إعادة تشغيل المؤسسات القديمة العاملة في شأن الاستنفار والتعبئة، بكل تشوّهاتها التي عرفناها، فستكون ردة كبيرة».

عبد الجبار محمد، «محلل سياسي اجتماعي»، خلال حديثه إلى «أتر».

من الحامداب، محلية الدبة، بالولاية الشمالية، أخبر أحد المصادر مراسلة «شبكة أتر»، مفضلاً حجب اسمه أيضاً، بأن معسكرات استنفار النساء غير موجودة في منطقتهم، وأقرب معسكر موجود في مدينة كريمة: «بعض الفتيات من أقاربي انضمن إلى التدريب العسكري في كريمة».

ويقول إن معظم المستنفرات من طالبات الجامعات في أعمار العشرينيات، من النازحات والمتضررات من تأثير حرب الخرطوم. «الدافع الأساسي للانضمام إلى التدريب، سيات من جانب الرجال أو النساء، هو استهداف قوات الدعم السريع لقبائل شمال السودان».

يرى المصدر أن هذا العداء سببه انتماء بعض رؤوس النظام البائد إلى قبائل الشمال، ويستطرد قائلاً: «تسبب عداء قوات الدعم السريع لقبائل الشمال في تغيير موقف بعض قبائل المنطقة تجاهها. مثل قبيلة الهواوير، التي رغم بيعها بعض الأراضي إلى حميدتي قبل الحرب ليقم فيها معسكرات تدريب قواته في المنطقة، فقد قررت الآن القتال ضد الدعم السريع بسبب تأثير الحرب على حياة قبيلتهم التي بدأت بالاستقرار في المنطقة مؤخراً».

وأخبر المصدر مراسلة «شبكة أتر»، بأن الاستنفار منظّم، ويشرف عليه «تعليمية» من القوات النظامية، كما تشارك رتب كبيرة من الجيش في حفلات تخريج المستنفرين في المنطقة، حيث شهد آخر تخريج حضور قائد حامية شندي وعدد من كبار الضباط. «أما الانضمام إلى التدريب فهو خيار شخصي وليس أمراً إلزامياً. لدى البعض دوافع للاستنفار، مثل حماية النفس، والعرض، والممتلكات، وأحياناً ممارسة الرياضة. وقد أسهم وجود عدد كبير من ضباط القوات النظامية من أبناء المنطقة في انتشار معسكرات التدريب، وتشجيع المواطنين على الالتحاق بها»، يضيف.

حاولت «أتر» التحدث إلى عدد من المستنفرات عن دوافع انضمامهن إلى معسكرات التدريب، لكن الحوار لم يكن سهلاً، وتعدّ التعرف على وجهة نظرهن إزاء كثير من الأسئلة؛ مثل طبيعة الخطر ودوافعهن ومستواهن التعليمي وعددهنّ وأعمارهن.

«أ» نازحة إلى عطبرة، قالت إنها لن تختار حمل السلاح، رغم نجاتها من الحرب، وشعورها المستمر بصدمة ما بعد الحرب، لكنها ستنضم إلى غرف الطوارئ

والإسعافات الأولية في حال تطلب الأمر. وأردفت قائلة إن الحماية هي مهمة الرجال. نازحة أخرى «ر» مقيمة في عطبرة، وخرجت إليها من الخرطوم بعد شهر وثلاثة أيام من بدء الحرب، قالت إن موقفها الدائم هو إيقاف الحرب، وإن التفاوض هو الحل، مؤكدة إن هذه الحرب متوقعة بسبب تضارب مصالح الجنرالات، وإن الجيش وقر لقوات الدعم السريع فرص التمرد، بتسليحه وتمكينه دون حساب احتمال الانقلاب عليه: «كان شعوري عند سماع وجود معسكرات استنفار النساء، أنها لن تلقى استجابة من قبل النساء، لكنني فوجئت بانضمام وقبول الفتيات والنسوة بالفكرة، ومعظمهن من سكان عطبرة، إذ لم ألتق بمستنفرة من ناجيات حرب الخرطوم». وتردف «ر» قائلة إن المؤسسة العسكرية هي من أدخلت السودان في هذا المأزق، ولم تكف بذلك، بل تريد أن تُقحم المواطنين والمواطنات في هذه الحرب.

إحدى قاطنات عطبرة أخبرت مراسلة «أتر» بأن سكان عطبرة يؤيدون استنفار النساء وتدريبهن، وهو ما تستهجنه نازحات من الخرطوم، وتساءلت عن مصادر تمويل كرنفالات التخريج التي تُقام بحضور رسمي. ■



مجلة تصدر أسبوعياً عن
مركز سودان فاكٲس للصحافة



نعمل على السودان،
من كل مكان

لاستلام نسخة (pdf) من المجلة أسبوعياً

على البريد الإلكتروني،
الرجاء مراسلتنا مرة واحدة على:
atar@sudanfacts.org

على WhatsApp أو Signal،
الرجاء إرسال رسالة تحوي كلمة «أتر» أو «Atar» في التطبيق على الرقم:
+254115438212

للانضمام إلى شبكة مراسلي أتر في السودان الرجاء مراسلتنا على:
correspondent@sudanfacts.org



[@atanetwork](https://www.facebook.com/atanetwork)